

المحاضرة الثالثة

التنشئة الإجتماعية

Socialization

La socialisation

تمهيد:

تُعتبر ظاهرة التنشئة الاجتماعية إحدى أهم مواضيع الدراسة في علم النفس الاجتماعي، علم الاجتماع والأنثروبولوجيا أيضاً، حيث يهتم الباحثون في هذه التخصصات بدورها في اكتساب أو توجيه السلوكات الإيجابية (الإيثار، التضامن، المنافسة، ...) أو السلبية (التعصب، العدوانية، التمييز، ...) التي يتبناها الأفراد داخل مجتمعاتهم، ويتساءلون عن بقاء مكتسبات التنشئة الاجتماعية في سن مبكرة وديمومة توجيهها لسلوك الفرد خلال سن الرشد، فيدرسون سيرورات استدخال الأفراد لثقافة المجتمع الذي يولدون وينشؤون فيه أو ذلك الذي ينتقلون إليه بعد بلوغ سن الرشد، كما يدرسون الميكانيزمات العلائقية والاجتماعية التي يساهم من خلالها هؤلاء الأفراد في تغيير ثقافة مجتمعهم أو يهتمون بتفاعل ثقافة المجتمع مع محددات شخصية الفرد.

1. تعريف التنشئة الاجتماعية:

استُخدم مفهوم "التنشئة الاجتماعية the socialisation" لأول مرة من قبل مورفي Murphy في سنة 1937، حيث ذكره في عنوان فرعي في الطبعة الثانية من كتابه علم النفس التجريبي، كما استخدمه كل من بارك Park ودولارد Dollard في سنة 1939 في عناوين مقالات نشرها في المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع، ثم ذُكر فيما بعد (1960) من قبل أوجبورن Ogburn ونيموكوف Nimokoff في كتابهما "يدوية علم الاجتماع" للإشارة إلى العملية التي يتحول من خلالها الفرد l'individu إلى شخص une personne أو عضو اجتماعي (رشاد علي، 1994).

يشار إلى هذه الظاهرة بـ "التنشئة الاجتماعية"، "الجَمْعَة"، "التطبيع الاجتماعي" أو "التطبيع الاجتماعي"، وتم تعريفها من خلال العديد من التعاريف نقدم عينة منها فيما يلي:

- **التعريف الأول:** «عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من مسايرة الجماعة والتوافق الاجتماعي معها وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية».

- **تعريف بارسونز Parsons:** «عبارة عن عملية تعليم تعتمد على التلقين والمحاكاة والتوحد مع الأنماط العقلية والعاطفية والأخلاقية عند الطفل والراشد، وهي عملية تهدف إلى إدماج عناصر الثقافة في نسق الشخصية وهي عملية مستمرة لا نهاية لها» (جابر، لوكيا، 2006).

- **تعريف لامبرت Lambert (1964):** «التنشئة الاجتماعية (هي) السيرورة التي يتعلم من خلالها الفرد كيف يصبح عضوا في أسرته وفي مجتمعه المحلي وفي جماعته القومية، حيث تبدأ هذه السيرورة منذ الطفولة المبكرة وتتقدم مع تقدم النمو والتعلم إلى أن يصل الفرد إلى حد يفكر فيه ويشعر ويقوم الأمور التي تدور حوله بطرق تشبه ما يفعله كل فرد آخر في المجتمع. وتدوم التنشئة الاجتماعية لمدى الحياة وتستمر بمعدلات متنوعة في الظروف المختلفة» (لامبرت، لامبرت، 1993).

2. أهداف التنشئة الاجتماعية:

هناك من أهداف التنشئة الاجتماعية ما هو مقصود ومتبنى من طرف مؤسسات بعينها وهناك ما يتحقق بشكل عفوي خلال تواجد الأفراد في مختلف الوضعيات الاجتماعية:

- ضمان استمرارية المجتمع من خلال تعزيز التجانس والتلاحم بين أفرادهِ.
- تسهيل إدماج الأفراد في المجتمع.
- إستدخال الأفراد لثقافة المجتمع ونقلها من جيل إلى آخر.
- تبني الأفراد للإتجاهات والمعتقدات والقيم والمعايير السائدة في المجتمع.
- إكتساب الأفراد لمكانات إجتماعية وتعلم الأدوار الاجتماعية المصاحبة لها.
- الضبط الاجتماعي للأفراد من خلال التمسك بجملة من السلوكات داخل الأطر المسموح بها إجتماعيا (مسلم، 2016).

3. مظاهر التنشئة الإجتماعية:

أ. المطاوعة الإجتماعية (الإمتثال):

تشير إلى السيورة التي يطيع من خلالها الأطفال أوامر واقتراحات الآخرين، حيث بينت الأبحاث في الولايات المتحدة أن الميل للمطاوعة يبدأ بصورة مشتتة إلى حد ما ولكنه يثبت مع نضج الطفل، حيث أثبتت الملاحظات بأن المكافآت تبدو أكثر فعالية من العقوبات في توليد المطاوعة.

ب. العدوانية:

بين روبرت سيزرز Robert Sears بأن الأطفال ذوي السلوكات العدوانية غالبا ما يكونون من أسر تتسامح بشأن القواعد المواجهة للعدوانية، ولكن العقوبات المفروضة فيها على الطفل النشيط في عدوانيته تبقى شديدة، وعلى العكس من ذلك، فإن الأطفال الأقل عدوانية هم الذين كانت تواجههم قواعد شديدة ضد العدوان (تعمل على منعهم) ولكن وسائل التعامل معهم لم تكن عقابية، إذ يبدو أن القواعد المتسامحة تساهم في زيادة عدوانية الطفل أكثر مما تفعل العقوبات الصارمة.

ت. التقليد:

يتعلق الأمر بتبني الفرد المنتمي لجماعة إجتماعية ما لسلوكاتها وأنماطها في التفكير ومعاييرها وأنماط العلاقات التي تميزها.

يمكن أن تُنقل الثقافة من خلال سلوكات يومية بسيطة من الكبار إلى الصغار من خلال آداب السلوك، المهارات، الألعاب، اللغة، العادات والأساليب (لامبرت، لامبرت).

ث. التعلق:

رأى بولبي Bowlby أن الفرد يتعلق خلال مراحل نموه من الطفولة إلى الرشد ببعض الأفراد، ويسعى دائما ليكون قريبا منهم، وينفصل عن أفراد آخرين ويبتعد عنهم حتى تتخذ تنشئته وجهتها السوية (السيد، عبد الرحمن، 1999).

ج. التنشئة الإجتماعية البديلة:

هناك فرص واسعة للتعلم البديل عن طريق الملاحظة، فبعدما يراقب طفل في الأسرة أو المدرسة طفلا آخر يتلقى تعليما فإنه يتعلم الكثير بمجرد الملاحظة.

بينت تجربة سايمور بارجي Seymour Berger أن تعلم المُرَاقِب قد يكون في ظروف معينة مكافئاً لتعلم التلميذ وقد يفوقه، وربما كان المُرَاقِب يستجيب في تقليده للتلميذ بصورة مستترة أو داخلية (مع الشخص الذي يتعلم ويستجيب بصورة ظاهرة) ويتأثر بنجاحه أو فشله المستترين وعندما لا يكون النموذج موجودا يكون المُرَاقِب قادرا على الفعل بصورة ظاهرة وفقا لاستجاباته التي تعلمها بصورة مستترة.

تبين الأبحاث التي أجراها ميشال كول Michael Cole وزملاؤه (1971) أن الأطفال يتعلمون من المواقف المرتبة خصيصا لنقل المعلومات شفهيًا.

ح. التقمص identification:

عندما يسلك طفل ما كما لو أنه يشعر ويفكر كشخص آخر فإنه يمكننا ملاحظة عملية التقمص، فهذه الأخيرة تشير إلى الكيفية التي يتعلم بها الطفل كيف يكون كأحد والديه دون أن يتلقى مكافئة واضحة على فعله هذا.

خ. الضمير:

بين وينفريد هيل Winfred Hill (1960) أن "السلوك الطيب" -وهو دليلنا على قوة الضمير عند شخص ما- يمكن أن يكتسب فقط من خلال الثواب والعقاب أو من خلال التعلم الشرطي أو تعلم تجنب أفعال معينة أو من خلال أشكال متنوعة للتعلم البديل، وينطبق هذا القول على تعلم مقاومة الإغراء بالخصوص، حتى في غياب الوالدين أو المدرسين وعلى تنمية عادات إطاعة القواعد الخاصة بالسلوك الطيب (لامبرت، لامبرت).

د. الخوف من الجمهور:

قام بايفيو Paivio بدراسة الحساسية تجاه المستمعين لدى الأطفال، حيث قاس الخوف من الجمهور عند الأطفال من خلال تمرير استبيان أعد خصيصا لذلك وربطه بمعلومات حصل عليها من الوالدين حول طريقة تربيتهما للأطفال. فعندما كان الوالدان يكثران من مكافئة أبنائهما ويقللان من عقابهما ويشجعان سلوكهم الإيجابي، لم يكن ينشأ لدى الصغار إلا القليل من الخوف من الجمهور أو الشعور بالرجح عند التعبير علنا عن أنفسهم، وكانت درجات الخوف من الجمهور الأكثر ظهورا ترتبط بكل من تقييمات الوالدين غير الراضية عن سلوك الأطفال وكثرة العقوبات على عدم امتثال الأطفال لمعايير الوالدين.

ذ. الصحبة:

وجد ستانلي شاشتر Stanley Shachter ارتباطا بين وضع الشخص في ترتيب الولادة بأسرته واختياره البقاء وحيدا أو في صحبة الآخرين عندما يواجه موقفا مخيفا، فمعظم أوائل المواليد أو وحيدى الأسرة يختارون

البقاء مع الآخرين في الموقف المخيف، بينما يفضل اللاحقون مواجهة ما يقلقهم بمفردهم. كما اعتبر والتر تومان Walter Toman أن الشخص الذي نشأ في أسرة كبيرة يكون حظه الاجتماعي أفضل.

ر. حاجات الإنجاز:

رأى كل من ماريان Marian ووينتربوتوم Winterbottom بأن الحاجة إلى الإنجاز تحدث بصورة أكثر تكراراً وقوة في الأسر التي تشجع الأطفال على الإستقلالية والإعتماد على النفس في سن مبكرة، ويتوقع من مثل هؤلاء الأطفال أن يربطوا أحديتهم في مرحلة مبكرة من أعمارهم، أو يصلحوا دراجاتهم أو يجهزوا إفطارهم بأنفسهم (لامبرت، لامبرت).

4. مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

أ- الأسرة:

تعتبر الأسرة الوحدة الاجتماعية الأولى التي تبدأ معها تنشئة الطفل، وتستمر علاقته معها على امتداد حياته، ويحاول الباحثون في علم النفس الاجتماعي تحديد دورها في التنشئة الاجتماعية للفرد، من خلال التركيز على الأنماط التربوية المتبعة داخلها، وإبراز الاختلافات في ثقل الأسرة من مجتمع لآخر، وتحديد المتغيرات الملازمة للوضعية السوسيو-اقتصادية للأسرة وتأثيرها على أدوارها تجاه الأبناء.

عادة ما يُنظر للأسرة على أنها تلعب دوراً في توجيه السلوك الاجتماعي للطفل، تعليمه المعايير والأدوار الاجتماعية، تلقينه الإتجاهات النفسية الاجتماعية، وغرس أفكار ومعتقدات المجتمع في نفسيته (الوافي، 2012) ولكن هذا الدور مرهون بعدة عوامل مرتبطة بتركيبية الأسرة ومكانتها في المجتمع الذي تنتمي إليه.

ب- المدرسة (الروضة):

تقدم المدرسة مشروعاً واعياً للتنشئة الاجتماعية مقارنة بالأسرة، ولكنها أقل تجانساً مقارنة بها، وهي مرحلة هامة من مراحل الفطام النفسي، حيث تحدد النماذج المرغوبة في السلوك من خلال تقديم صورة التلميذ المثالي أو المشاغب أو الناجح أو الفاشل، وتوفر الإحتكاك بين التلميذ وشخصية المعلم والمنهاج المدرسي باعتبارهما من العوامل المدرسية المؤثرة في التنشئة الاجتماعية للطفل (العتوم، 2009)، حيث يتوجب على التلاميذ إلزام الهدوء داخل القسم والإنضباط في مواعيد الحصص وقبول سلطة الهيئة التدريسية والاستجابة لمتطلباتها، ما سيسمح لهم باكتساب خبرات ذات علاقة بقواعد العمل في المستقبل (النعيمي).

ت- المؤسسات الدينية (المساجد، المدارس القرآنية، الزوايا):

تتشابه المؤسسات الدينية في دورها مع دور المدرسة ولكنها تركز أكثر على تقويم السلوكات والجوانب الأخلاقية، كما أن دورها يمتد على طول حياة الفرد، وهي تسعى إلى:

- إمداد الفرد بإطار سلوكي نابع من تعاليم دينه.
- حث الأفراد على تبني النماذج السلوكية المثالية بالتكرار، الإقناع، الإرشاد العملي أو الترغيب والترهيب (جابر، لوكيا).
- تنمية الشعور بالحق والباطل في الحياة اليومية.
- حث الأفراد على زيادة الرقابة على النفس من خلال الضبط الذاتي المُنتشع بالقيم الروحية وتعاليم الدين.
- نقل القيم الروحية، الخلقية والإنسانية وغرس روح التسامح والمحبة ورفض التعصب والعدوان والعنف (الأزرق).

ث- جماعة الرفاق (الأقران):

تعتبر جماعة الأقران فضاء اجتماعيا خاصا ينتمي إليه الطفل، وعادة ما تتعارض القيم والاتجاهات السائدة بين جماعة الأقران مع قيم واتجاهات الوالدين والمدرسة، وتؤثر على سيرورة التنشئة الاجتماعية للطفل، وبالتالي نموه النفسي-الاجتماعي وقيمه وعاداته واتجاهاته وتكوين المعايير الاجتماعية نتيجة لولائه للجماعة وقيامه بأدوار اجتماعية داخلها (كالقيادة مثلا) وانخراطه في المنافسة مع جماعات أخرى (الوافي، ص 46). وعادة ما تتكون هذه الجماعة من أصدقاء الطفل الذين يتقاربون معه في السن والميول والإهتمامات، ويمكن أن تتخذ شكلين:

❖ الثلة (الشلة): وتجمع بين أفراد متشابهين في المكانة والوضع الاجتماعي وتتميز بقوة تماسكها.

❖ العصبة: وتتميز بصراعها مع جماعات أخرى وتوظيفها لرموزها المشتركة الخاصة بها (جابر، لوكيا).

ج. وسائل الإعلام:

هناك علاقة وطيدة بين وسائل الإعلام (المكتوبة، المسموعة والمرئية) وسيرورة التنشئة الاجتماعية، وذلك راجع إلى الحجم الهائل من المعلومات، المعارف، الحقائق والأخبار التي تنقلها على مدار الساعة، فهي تقوم بدور كبير في إيصال الثقافة العامة إلى جماهير عريضة وتؤثر بسبب انتشارها الواسع على:

- إتجاهات وآراء الناس بخصوص مواضيع مختلفة من حياتهم اليومية.
- تشجيع سلوكات معينة لدى المتلقين كتنشيط السلوك العدواني بين الأطفال.
- عادات الأكل، الشرب واللباس.
- التفاعلات التقليدية ما بين الأفراد جراء البقاء لساعات أمام شاشة التلفاز أو الهاتف الذكي (النعيمي).

ومع انتشار الأنترنت ومعه كل مظاهر الشعبية في وسائل الإعلام التقليدي والحديث، فإن العديد من الباحثين منشغلون بتأثير هذه المعطيات الجديدة في الإعلام والاتصال على عمليات التنشئة الاجتماعية التقليدية وكذا مساهمتها في نقل القيم العالمية الدخيلة على الثقافات المحلية.

خلاصة:

لقد رأينا من خلال هذه المحاضرة كيف أن التنشئة الاجتماعية سيرورة نفسو اجتماعية مستمرة على طول حياة الفرد ومهمة في تكوين شخصيته وتأثره بمختلف الجماعات الاجتماعية والثقافة التي ينتمي إليها، لذلك تكتسي دراستها أهمية كبيرة بالنسبة للمختص في علم النفس التنظيم والعمل، وذلك لمعرفة تأثير الثقافة الاجتماعية التي نشأ فيها العمال على الثقافة التنظيمية السائدة في ميدان العمل، تماما كما تفيد دراسة هذه الظاهرة البسيكو سوسولوجية المختص في علم النفس العيادي في دراسة وقع حياة الفرد في محيطه الأسري والاجتماعي على تطور شخصيته وازدهاره النفسي أو تعثر هذا التطور واضطراب شخصيته.